في إشكالية نمط الأسرة الجزائرية

أ.حمماني سليمان

مقدمة:

يعتبر تغير نمط الأسرة من أبرز مظاهر تطورها[1]، إذ يربط العلماء عادة بين التركيب الاجتماعي للأسرة (Composition Familiale) وعناصر التحديث، كالتصنيع، والتحضر، وانتشار التعليم الحكومي، ويرون في هذه الأخيرة عوامل انتقال من الأسرة الممتدة التقليدية إلى الأسرة النووية الحديثة.

وإذا كان التركيب الاجتماعي للأسرة في مجتمع ما، يعكس حقيقة موضوعية تقع في زمن معين، فإن الشكل التركيبي للأسرة (Organisation Familiale) يعتبر تجريدا أو حالة مثالية، يمكن إدراكها خلال مدة زمنية طويلة قد تختلف من مجتمع لآخر[2].

في هذه الورقة سوف نتناول الأنماط الأسرية التي باتت منتشرة في المجتمع الجزائري، وهذا ليس استنادا إلى معطيات إحصائية، وإنما من خلال قراءة لبعض أعمال علماء الاجتماع، إذ إن القاسم المشترك بين هؤلاء الباحثين هو الفكرة القائلة بتطور الأسرة الجزائرية الأبوية التقليدية الممتدة، التي كانت سائدة قبل الاستقلال عام 1962، تحت تأثير التحولات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والديموغرافية.

---

[1] يستخدم حاليا مفهوم "التطور" في الدّراسات التي تحاول رصد مراحل مرت بها أو تمر بها الأسرة، في منحنى خطي، بصورة تجعل هذه المراحل مرجعية ينظر منها إلى " تغير" هذه الأسرة، كما هو الحال، مثلا بالنسبة إلى ممرات القبيلة ،العشيرة ،الأسرة أو ممر الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية.(لبيب، 2004، :91).

[2] يرى فريدريك لوبلاي (Frederic Leplay) أن العائلة الإنسانية تمر بثلاث مراحل تاريخية هي مرحلة العائلة المستقرة ومرحلة العائلة المستخرجة [أو الفرعية] ومرحلة العائلة غير المستقرة (...) وتتغير العائلة من مستقرة إلى مستخرجة أومن مستخرجة إلى غير مستقرة وبحكم انتقال العائلة المستخرجة من مرحلة حضارية معينة إلى مرحلة أخرى فإنها تتميز ببعض صفات العائلة المستقرة وبعض صفات العائلة غير المستقرة(...) أما الفترة الزمنية التي تحتاجها العائلة وهي في هذه المرحلة فإنها تختلف من مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى ولكنها بوجه العموم تتراوح بين 50 إلى 150 سنة. (ميتشل 1986 : 241- 242).

أولا: تعريف الأسرة:

كلمة "أسرة" في اللغة العربية التي تقابلها في اللغة الفرنسية "famille" وفي اللغة الانجليزية"family" تعني " الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر.(نخبة من المؤلفين، د.ت: 98).

ولا بد أن نشير بادئ ذي بدء إلى صعوبة تعريف الأسرة الإنسانية، فهي تبدو جزءا من نظام الطبيعة، الأمر الذي يكسبها طابعا كونيا، خاصة بشكلها الأساسي ذي النمط الزّواجي، المعرّف باتحاد معترف به اجتماعيا بين رجل وامرأة يعيشان مع أولادهما (...) ولكن من المثير للاهتمام أن نلاحظ بأنه على الرغم من كون المؤسسة العائلية حيوية وضرورية وشاملة ظاهريا، لا يوجد لها تعريف محدد، كما هي الحال بالنسبة للزواج (بونت وإيزار، 2006:639).

ولقد عرفها كينكزلي ديفز (Kingsly Davis) بقوله : إنها جماعة من الأفراد تربطهم روابط دموية واجتماعية متماسكة (بيرى، 1998: 48).

أما بيرجس ولوك (E.Wburgess H & H.J.Loocke) فقد عرفاها على أنها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم والتبني ويعيشون معيشة واحدة، ويتفاعلون كل واحد مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة، والأم والأب، والأخ والأخت، ويشكلون ثقافة واحدة مشتركة.(نخبة من الأساتذة، د.ت: 177).

و ما نلاحظه على هذا التعريف الأخير، هو أنه يركز بشكل أساسي على ظاهرة التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة، ولقد وجهت له عدة انتقادات، أهمها أنه لم يراع الفروق الجوهرية والاختلافات البينة بين المجتمعات البشرية في تنظيم الأسرة، كما أن روابط الزواج والدم والتبني التي حواها قد تحتاج في بعض المجتمعات - خاصة تلك التي تجهل الدور البيولوجي الرجل في عملية الإنجاب- اعترافا وقبولا من المجتمع قد يصاحبه أداء بعض المراسيم والطقوس الرّمزية.

ونستطيع القول إن هذا التعريف يعتبر أدق من التعريف الأول (تعريف كنكزلي) الذي تجاهل إمكانية انضمام بعض الأفراد إلى الأسرة عن طريق التبني، وتمتعهم بحقوق كاملة من دون وجود رابطة دموية في بعض المجتمعات الأوروبية.

أما إيمليو وليامز (Emilio Williams) فعرّف الأسرة قائلا إنها المؤسسة الاجتماعية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال، يعيشون زواجيا مع إمرأة أو عددا من النساء، ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين، وكذلك الخدم (williams, 1970 : 106) .

فهذا التعريف يفسح المجال واسعا أمام الباحث لحصر أنواع الزّواج الممكنة كالزواج الجمعي، ونظام تعدد الأزواج، ونظام تعدد الزوجات، والزواج الأحادي، من جهة، وأشكال التنظيم الأسري التي تتوافق مع أنماط الزواج المتعددة وتنهض عليها من جهة أخرى، فهو يركز بخاصة على أشكال التنظيم الأسري، ويُغفِل الوظائف التي تقوم بها الأسرة، وكذا صور التفاعل الاجتماعي التي تقع بين أفرادها.

أما ميردوك (Murdok) فيعرّف الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة الجنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وطفل سواء كان من نسلها أو على طريق التّبني.(وصفي، 1971 :165).

فهذا التّعريف، وإن ركز على الأهمية الاجتماعية، لإحدى الوظائف الأساسية، ألا وهي الوظيفة الجنسية التّكاثرية، فهو لم يذكر العناصر الثقافية والاجتماعية الكامنة في الأسرة.

وفي ضوء هذه التّعاريف التّي قدمها علماء الاجتماع والانثربولوجيا للأسرة، يمكن القول إنه يصعب وضع تعريف دقيق للأسرة، يحيط بجميع جوانبها، ولكن يمكننا الإشارة إلى أن الأسرة هي مؤسسة اجتماعية أساسية، ونظام اجتماعي ذو انتشار عالمي، يعتمد في وجوده على عناصر بيولوجية ضرورية، وتتدخل الثقافة في توجيه هذه العوامل وتعديلها بما يناسب طبيعة المجتمع، وظروفه وتحولاته.

وإذا كان الاختلاف واضحا بين العلماء في تعريف ماهية الأسرة، فإن هذا الاختلاف يظهر جليا كذلك بين العلوم الاجتماعية التي تشترك في دراسة الأسرة، وعلى رأسها الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع، وبخاصة(علم اجتماع الأسرة) والديموغرافيا (علم السكان) لأن كلا من هذه العلوم تتبنى زاوية تنظر منها إلى هذه الوحدة الاجتماعية[1].

[1] حول المقاربات المختلفة في دراسة الأسرة، راجع مثلا:

Thérèse Locoh, **familles africaines, population et qualité de vie,** coll, les dossiers du CEPED n° 31, Paris, CEPED, 1995, pp 10-11.

Unesco**, les organisations familiales et les rôles dans la famille**, dossier technique n°3, Caracas, 1988, p2.

Elizabeth Zucker-Rouvillois, Fabienne Daguet, « la famille : quelle définition? », in **Problèmes Economiques**, n°2537, 1997, pp1-6.

فهي مجموعة من الأشخاص يرتبطون فيما بينهم بواسطة الزواج والنسب، أي الوحدة القرابية، وهنا يكون التعبير عنها غالبا بمصطلح القرابة (la parenté)، وهذا هو الإطار العام الذي ترتكز عليه الأنثربولوجيا في تعريف الأسرة ودراستها .

وهي جماعة منزلية، أي جماعة اجتماعية تكون وحدة بنائية داخل المجتمع، ويضمن استمراريتها الوظائف التي تؤديها للفرد والمجتمع، وأشكال التفاعل الاجتماعي القائمة بين أفرادها الذين يشغلون أدوارا اجتماعية يحددها المجتمع، وهنا يكون التعبير عنها بمصطلح الجماعة المنزلية (le groupe domestique) ، وهذا هو مجال علم اجتماع الأسرة بامتياز.

أما الديموغرافيون، وهم العلماء المختصون في علم الديموغرافيا، أو دراسة السكان، فيتخذون من المشاركة في السكنى واستقلال الاقتصاد المنزلي المحكان الأساسيان لتعريف الأسرة، ويطلقون عليها الأسرة المعيشية (Ménage) ، ويقصدون بها أي وحدة اجتماعية مكونة من شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، تكفل لنفسها استقلالا اقتصاديا سواء انطوت هذه المجموعة على أطفال أو اقتصرت على عنصر الرّجال فقط (عبد العاطي وآخرون، 1999: 20)؛ أي بغض النظر عن تركيبها النوعي.

ثانيا: أنماط الأسرة :

يعتبر تنوع الأشكال الّتي يمكن لأسرة أن تتخذها وفقا للبيئات الاجتماعية المختلفة، ووفقا كذلك للفترات التاريخية، إحدى أهم مميزاتها، فالأسرة تختلف من مجتمع لآخر، كما أنها تختلف بين المجتمعات الريفية والحضرية، وقد تختلف الأسرة تبعا للطبقات والمستويات الاجتماعية في المجتمع الواحد.

ونشير هنا أنه بعد مقارنته لأشكال تنظيم الأسرة ووظائفها في خمسين ومئتين(250) مجتمعا إنسانيا اهتدى ميردوك(Murdok) إلى تقسيم الأسرة إلى ثلاث أصناف هي:

الأسرة النووية (famille nucléaire) وهي التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد.

الأسرة الممتدة (famille étendue) التي تتألف من أسرتين نوويتين على الأقل.

أسرة تعدد الزوجات (famille Polygame) التي تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر. تربطهم علاقات اجتماعية أساسها الأب المشترك الذي تزوج من عدة نساء وكوّنوا عوائل نووية مترابطة. (ميتشل، 1986 : 98- 99).

ويفضل بعض الباحثين أن يضيف إلى هذه الأشكال التي قدمها ميردوك، شكلا آخر أصبح منتشرا في المجتمعات المعاصرة، هو الأسرة الأحادية الوالد (famille monoparentale) التي تتكون من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها[1].

ويسود الاعتقاد في الأوساط العلمية، أن الأسرة النووية لم تكن تتمتع بالاستقلال عن وحدات النسق القرابي الأخرى، مثل الأسرة الممتدة، والعشيرة، والقبيلة، في ظل المجتمع التقليدي، وأنّ انفصالها عن هذه الوحدات، لم يتم إلا في إطار المجتمع الصّناعي الحديث، نظرا لتناقض خصائصها مع خصائص المجتمع التقليدي.

ولعل أبرز الأعمال السوسيولوجية التي حاولت تفسير تحول وانتقال المجتمع من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية، كل من محاولتي دوركايم(Durkheim) و«بارسونز» (Persons) .

فالأول (أي دوركايم)، وإن ركز على استقلالية الأسرة النووية عن وحدات النسق القرابي في المجتمع الصناعي، إلا أنه يشير بوضوح إلى عدم تفكك المجتمع (...) لأن المجتمع يستبدل بالجماعات القرابية القديمة جماعات مهنية متعددة تؤدي الدور نفسه الذي تؤديه الجماعات القرابية القديمة في ربط الفرد بوحدات اجتماعية أكبر ومن خلال ذلك بالمجتمع ككل.(خيري، 1985: 18).

أما «بارسونز» فأكد كذلك تمايز الأسرة النووية عن مكونات النسق القرابي في المجتمع الصناعي، لكنه على عكس دوركايم يرى بأن الأسرة النووية بالمعنى الصحيح تمتاز بأنها منعزلة.(بيري، 1998: 65- 66).

فكل من أسرة التنشئة وأسرة الإنجاب تعتبر أسرا نووية مستقلة منفصلة ومنعزلة، وهو بذلك يؤكد اضمحلال العلاقات الاجتماعية التي تربط الأسرة النووية بالأقارب .

بل وذهب إلى أبعد من ذلك في تحليله، حين اعتبر " أنه في ظل العائلة الحديثة تكون الوظيفة الوحيدة المترافقة مع مبادئ الحركية والترقي الشامل، هي التنشئة الاجتماعية (socialisation) ضمن القيم العامة الأساسية، والأدوار المقترنة بها (بودون وبوريكو، 1986 : 149).

والجدير بالإشارة إليه هاهنا، أنه قد وجهت لتالكوت «بارسونز» عدة انتقادات أهمها مايلي:

---

[1] حول هذا الصنف من الأسرة راجع مثلا :

Nadine LE FAUCHEUR « Les Familles Dites Monoparentales » In **La Famille L'état Des Savoirs**, François (sous dir), La Découverte ,Paris, 1991, pp 67-94.

لا يمكن تعميم النتائج التي توصل إليها «بارسونز»، لأنه أجرى بحثه في الولايات المتحدة، وهو بلد يتميز بحراك جغرافي متعاظم لأنه في الأصل مستعمرة سكانية .

وقد ارتكز في تحليلاته على ملاحظاته على الطبقات العليا والوسطى فقط، وبالتالي أغفل الطبقات الدنيا والجماعات الإثنية المختلفة التي تكوّن المجتمع.

على عكس ما كان يعتقد «بارسونز»، أكدت دراسات مختلفة [1] على العلاقات الكثيفة والمتينة بين الأسرة والأقارب، ويعتبر تبادل الزيارات، والمساعدات المختلفة، والنصائح، والرسائل والمكالمات الهاتفية ...إلخ، من المؤشرات الهامة التي تدل على استمرار هذه العلاقات رغم البعد المكاني .

استمرار الإستراتيجيات الزوجية لتأمين استمرار أو توسيع بعض الامتيازات في الرتبة أو الثروة لمصلحة الأجيال القادمة (بودون وبوريكو، 1986 : 150).

غالبا ما تسعى الأسرة النووية إلى استغلال علاقاتها مع الأقارب الذين يملكون نفوذا لمصلحتها واستثمارها.

ثالثا :إشكالية نمط الأسرة في الدراسات العربية :

تشير بعض المحاولات النقدية الحديثة [2] إلى أن الدراسات العربية حول الأسرة تواجهها عدة إشكالات، وهذه الأخيرة " تتعلق بالمفاهيم أولا، ثم بالمقاربات والأطر النظرية ثانيا، وبمستوى التحليل ثالثا، وكلها قضايا خلافية. (عنصر، 2008 :284). فإذا أتينا مثلا، إلى مسألة المفاهيم، نجد أنها (أي الدراسات العربية حول الأسرة) تستخدم في كثير من الأحيان لفظ " أسرة "، ولفظ "عائلة" من دون تمييز، وكأنهما يحملان نفس المعنى، ويعبّران على نفس الوحدة الاجتماعية[3].

---

[1] مثلا أعمال ميكايل يونغ (Michael Young) وبيتر هيلموت (Peter Wilmoth) في بريطانيا وأعمال لويس روسل (Louis Roussel) وأديل بورغينيون (Odil Bourguignon) في فرنسا .

[2] ينظر مثلا ملف " الأسرة العربية المعاصرة:رؤى ومقاربات "، في **المستقبل العربي**، السنة 27 العدد 308، تشرين الأول /أكتوبر 2004، ص79 - 153.

[3] يميز «زهير حطب» بين كلمة أسرة وبين كلمة عائلة فيقول: كلمة أسرة تحمل في معناها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، حينما كان الناس مرتبطين بالقبائل والعشائر والبطون (...) ومن هنا يبدو أن كلمة أسرة هي في نطاق معنى الفعل أسر، ولعلها صيغة أخرى للفعل أزر بمعنى ناصر وقوى وشدد بتبديل السين بالزاي، وهذا أمر معروف وكثير الحدوث في اللغة العربية(...) أما كلمة عائلة فمستحدثة مشتقة من فعل عال وتكشف لنا عن المعنى المراد بها، كونها مجموعة من الأفراد الذين يعيلهم معيل أو كاسب.(حطب، 1976: 43).

و يجد هذا الخلط وعدم التمييز مُبَرِرًا له عندما نعلم، أن تحديد دلالة المفهوم لا تكون بمعزل عن الواقع الذي يتعامل معه، لذلك فإن الخط الفاصل بين مفهوم الأسرة وبين مفهوم العائلة ليس دوما واضحا في أذهان الباحثين ولا في الواقع المعيش أيضا، وهذه الحقيقة تعكس مدى تعقيد الواقع وتعدد نماذج التنظيم الاجتماعي وأنماط نظم القرابة والالتزامات الاجتماعية الناشئة عنها.(عنصر، 2008 :284).

وهذا ما يفسر لنا أيضا انقسام هذه الدراسات بالنظر إلى موقفها من قضية نمط الأسرة العربية إلى ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول : ويرى أن العائلة أو الأسرة الممتدة التي تتكون من ثلاثة أجيال هي النمط السائد في الوطن العربي،" وداخل هذا الاتجاه توجد بعض الاختلافات، فيقدر البعض أن هذه السيادة لنمط العائلة الممتدة تنطبق على كل الطبقات الاجتماعية باستثناء "الطبقات المتعلمة المتحضرة"، فيما يقصرها البعض الآخر على المجتمعات الريفية والقبلية مع الإقرار بوجودها بشكل ملحوظ في المدن الصغيرة أيضا. (التركي وزريق، 1995: 12).

الاتجاه الثاني : ويذهب إلى سيادة نمط الأسرة النووية في المجتمع العربي، وترى ثريا التركي وهدى زريق أن الدراسات الأحدث نسبيا والمعتمدة على بيانات إحصائية قومية أوعلى بحوث ميدانية تستخدم عينات كبيرة إلى حدّ ما (...) تؤكد انتشار العائلة النووية في البلدان العربية. [1](التركي وزريق، 1995: 13).

الاتجاه الثالث: ويعترض على استنتاجات الاتجاه السابق لأن البيانات الإحصائية التي اعتمدت عليها لم تكن بيانات عن العائلة بالمعنى السوسيولوجي أو الانثروبولوجي أو بأي معنى علمي آخر، لأنها اعتمدت على بيانات أسر معيشية بمعنى إحصائي. (عبد المعطي، يناير 2010 : 11).

ويفترض هذا الاتجاه سيادة نمط انتقالي متحول أو ممتد معدل ويبرر موقفه بسطوة علاقات القوة والعلاقات الإيديولوجية للعائلة الممتدة خاصة السلطة الأبوية، رغم الانفصال

---

[1] هذا الاتجاه متأثر إلى حد بعيد بالرأي القائل إن الأسر النووية تمثل النمط السائد في المجتمعات التقليدية وأيضا المجتمعات التي سبقت ظهور الصناعة، ومن هذا الفريق لاسيلت وLASLETT، رينغ RING وغرينفيلد GREENFIELD وهم الذين أكدوا انتشار الأسرة النووية قبل نشأة الصناعة، ويتفق عدد من العلماء العرب مع هذا الرأي عند تناولهم الأسرة العربية. (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، 1992: 6).

من بين هؤلاء الباحثين الباحث الجزائري علي قواوسي راجع كتابه:

.1992 FNUAP, CENEAP, Ali KOUAOUCI, **familles, femmes et contraception**, Alger,

والاستقلال المكاني للأسر النووية الصغيرة للأبناء أو اضطرار أعضاء متزوجين من الأسرة للعيش معها لعوامل مختلفة، ترتبط بأزمة السكن أو ارتفاع سن الزواج، أو رعاية بعض أعضاء الأسرة كالمسنين على سبيل المثال (عبد المعطي، يناير 2010 :11)؛ فهو إذا يتحفظ بشأن السيادة الإحصائية للأسرة النووية في المجتمع.

رابعا : أنماط الأسرة الجزائرية : قراءة في بعض الأطروحات:

قبل أن نستعرض بعض المحاولات التي عالجت موضوع أنماط الأسرة الجزائرية، يجب أن نُذكِر بأن هذه الأخيرة، كانت محل بحث واستقصاء من طرف المدرسة الأنثروبولوجية الاستعمارية الفرنسية، وعلى العموم فقد تميزت الأبحاث المنضوية تحت لواء هذه المدرسة بميزتين:

الأولى: تركيزها على منطقة القبائل بصورة واضحة، ولا شك في أن ذلك كان يندرج ضمن إحدى إستراتيجيات الاستعمار المتمثلة في محاولة القضاء على مصادر الخطر في المناطق المعروفة بالتمرد من جهة، وفي محاولة البحث عن حلفاء أو خلق انقسام في المجتمع ينطلق من مبدأ "فرّق تسد" من جهة أخرى.[1] (بوطالب، 2002: 70).

الثانية: أنها ركزت على الاستقرار بدل التطور، فحاولت دراسة كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالأسرة الجزائرية، كالبناء، والعادات والتقاليد، وكذا المواضيع القانونية التي ترتبط كثيرا بدراسة المحتوى القانوني للتنظيمات الاجتماعية التقليدية للمجتمع، بحيث غالبا ما نجد هذه القيم الثقافية المحلية للمجتمع الريفي في صراع وتناقض مع القيم والقوانين الاستعمارية التي أرادت الإدارة الفرنسية الاستعمارية إدخالها ضمن مجالس قانونية خاصة تنظم العلاقات الاجتماعية للمجتمع الجزائري.(فرادجي، 2004: 94).

والواقع أنه كان لهذه الدراسات آثار في المحاولات اللاحقة فنجد صداها في دراسة بيير بورديو (Pierre Bourdieu) سوسيولوجيا الجزائر(Sociologie de l'Algérie)(Bourdieu, 1974 :12) .

---

[1] من بين الأعمال حول المنطقة القبائل نذكر على سبيل المثال:

HANOTEQU et LE TOURNEUX **la Kabylie et les costumes kabyles** , Paris, imp, Nationale,1872.

G.H.BOUSQUET, **Justice française et coutumes kabyles,** Alger, imp. Nord Africaine ,1950.

M.DAUMAS ET M.FABAR, **LA GRANDE KABYLIE** : **étude historique,** Alger, imp. Ch MONGENOT,1847.

حيث اهتم بالتقسيمات الإثنية واللغوية والدينية في المجتمع الجزائري، وفي دراسة روبيير ديكلواتر (Robert Descloitres) والعيد دبزي(Laïd Debzi) حول الأسرة الريفية الناطقة بالعربية .(Descloitres et Debzi, 1963 :29).

1- **أطروحة مصطفى بوتفنوشت:**

يعد الباحث الجزائري "مصطفى بوتفنوشت" أول من استخدم مفهوم "التطور" بصيغته العلمية الجديدة في دراسة الأسرة الجزائرية، فهو على خلاف المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية الاستعمارية " لم يأخذ بعين الاعتبار التقسيمات الإثنية - اللغوية - الدينية ،التي كانت سائدة في الدّراسات السّابقة الذكر مفترضا بذلك تجانس وحدة التحليل ،ومن جهة أخرى ركّز أكثر على ديناميات التّغير، غير أن ديناميات التغير تم تحليلها في إطار المدرسة التّطورية .(محمدي، 2006: 22).

ويرى الكاتب أن الأسرة الجزائرية تتجه من نمط الأسرة الممتدة التقليدية، إلى نمط الأسرة الأبوية العربية(Famille paternelle arabe) الذي يختلف عن نمط الأسرة الأبوية الجرمانية(Famille paternelle gérmanique) من جهة، ويختلف عن نمط الأسرة الزواجية (Famille conjugale) من جهة أخرى.

فهذا النمط يتمتع بخصائص أهمها أنه توافقي بين الآباء والأبناء " فسلطة الأب في هذه الأسرة ليست استبدادية كما في الأسرة البطركية وليست مساواتية كما في الأسرة الزواجية، ولكنها توافقية أبوية". (Boutefnouchet, 2006 :17) . ولا تلزم هذه الأسرة الأبناء بعد الزواج على البقاء معها أو الانفصال عنها.

2- **أطروحة «عدي الهواري» :**

تتلخص أطروحة «عدي الهواري» في أن تغير شكل الأسرة الجزائرية لا يعني أنها أصبحت أسرة زواجية، نظرا لطبيعة العلاقات التي تقيمها هذه الأخيرة مع أسرة الإنجاب، فنجده يقول " هل يمكننا الحديث عن الأسرة النووية في الجزائر؟ " حتى لو كان هناك أسر متكونة من الأباء والأطفال ومستقلة مكانيا، فإنه يصعب اعتبارها أسرا زواجية عندما نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي تقيمها هذه الأسر مع الأسرة الأصل وأفرادها، فانتظام الزيارات، والاعتماد العاطفي، وتدخلات الأباء، وديمومة العلاقات، هذه كلها عوامل تمنع الأسر النووية من الاستقلال بذاتها وتكوين أسر زواجية.(Addi 1999 :50).

ويطرح «عدي الهواري» الفرضية الآتية : إن العائلة التقليدية تحولت إلى أسرة موسعة التي حسب الموارد المادية والرأسمال الثقافي لأعضائها، تظهر سواء على شكل مركب يتضمن عدة أسر نووية تجمعها وحدة الإقامة ومكان الاستهلاك أو على شكل شبكة متمحورة حول أسرة نووية رئيسية (في غالب الأحيان أسرة الأبوين)، ولكن موزعة على عدة أماكن إقامة(Addi 1999 :50) [1].

3- **أطروحة سعاد خوجة :**

وتأتي محاولتها في سياق حديثها عن الأسرة التقليدية كمصدر للعنف المادي والرمزي ضد النساء[2]، وتعتمد الكاتبة في تصنيف أنماط الأسرة المنشقة عن الأسرة الأبوية على مجموعتين من العوامل:(Khodja , 2002 :68)[3].

المجموعة الأولى وتتمثل في نوع العلاقة الزواجية، وتحديدا هل هذه العلاقة تم إقامتها من طرف الشريكين بصفة حرة ومستقلة أو عن طريق التدخل المباشر للأهل من جهة، وهل الثنائي الزواجي يقاسم سكن أهل الزوج أم لا من جهة أخرى؟ أما المجموعة الثانية فتتمثل في بعض المتغيرات السوسيولوجية كالصف السوسيو- مهني، والمستوى الدراسي، ومدة الإقامة في المدينة للشريكين ووالديهما.

وترى "سعاد خوجة" أن لهذه العناصر آثار على نمط الأسرة، ومن هذا المنطلق تفترض انقسام الأسرة الأبوية إلى ثلاثة أنماط هي:

الأسرة الزواجية (la famille conjugale) التي تتضمن الأب والأم وأبناءهما، ومن عوامل انتشار هذا النمط غفلية الحياة في المدينة(l'anonymat de la vie en ville) ، والتعليم،

---

[1] حول الأسر الممتدة في المدينة راجع مثلا : فتيحة تمريست، **واقع الأسرة الممتدة في المدينة خصائصها ووظائفها ومشكلاتها**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير،قسم علم الإجتماع، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005- 2006.

[2] يعني العنف الرمزي أن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير والتعبير باعتبارها الطريقة الوحيدة الشرعية بالعنف(...) ويؤكد بورديو أن أي نفوذ يقوم على العنف الرمزي،و أي نفوذ ينجح في فرض دلالات معينة بوصفها دلالات شرعية ،فإنه يحجب علاقات القوة التي تعززه، ويضيف إليها قوته الرمزية الخاصة، حيث يعترف المغلوب بشرعية الغالب. (خضر 2000 :64).

[3] هذا ما تؤكده أيضا بعض الدراسات الميدانية، أنظر على سبيل المثال :

رتيبة رحيش، **الأسرة الزواجية بين الاستقلالية والمحافظة**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005.

نعيمة مدان، **التحضر وظهور الأسرة النووية في المجتمع الجزائري**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.

والاستقلال المادي والنفسي، وانتشار وسائل الاتصال الجماهرية(...) في هذا النمط من الأسرة نتيجة للعمل فإن المرأة ترفض الدور السلبي للمرأة التقليدية، وتريد المشاركة في نفقات الأسرة وفي اتخاذ القرارات المهمة التي تخص أسرتها (Khodja , 2002 :68).

ومع ذلك فإن الكاتبة لا تنفي عدم الاستقلال التام لهذا النمط الأسري، لأن حضانة الأطفال، وكذلك مراسيم الاحتفالات الأسرية والدينية، تسمح لأسرة الزوج أو أسرة الزوجة بالتدخل في شؤون هذه الأسرة، والإخلال بنظامها.

الأسرة الشبه الزواجية (la famille néo- conjugale): أي الأسرة التي تنهض على أساس الاختيار المتبادل، وعلى قاعدة العلاقات العاطفية، غير أنها لأسباب متعددة اضطرت للسكن مع أهل الزوج، التي تتألف غالبا من الآباء والأبناء العزاب أو المتزوجين والأطفال الصغار.

الأسرة التي يرأسها أحد الأبوين(famille monoparentale): وفي غالب الأحيان المرأة الأرملة أو المطلقة، ويمكن لهذه الأسرة أن تتضمن الأبناء العزاب والمتزوجين وأبنائهم.

4- **أطروحة «فوزي عادل»:**

يعتمد «فوزي عادل» بدوره على مجموعة من المؤشرات لتصنيف أنماط الأسرة، كالتجربة العاطفية والجنسية قبل الزواج، ونمط الاختيار الزواجي وترتيباته، وطبيعة التجمع المنزلي، والعلاقات مع القرابة، وكذا نمط الخصوبة، وعلى هذا الأساس يطرح «فوزي عادل» ثلاثة أنماط للأسرة. (Adel, 1995).

نمط عدم الانقسام(le model de l'indivision): ويميز هذا النمط الاختيار الزواجي العائلي، ويخص الأفراد الذين يكون حراكهم الجغرافي منعدما، ويتميز نمط الزواج، في هذه الحالة بفارق السن الكبير بين الزوجين، والسكن مع أهل الزوج، كما أن للإنجاب أهمية كبرى بالنسبة للمرأة، ويخضع تقسيم العمل لقواعد صارمة، ويتم الفصل بين الجنسين تأكيدا لقيمة الشرف[1].

النمط الانتقالي (le model de transition): يخص هذا النمط الأفراد الذين يؤدي حراكهم الاجتماعي إلى القطيعة مع وسطهم الاجتماعي الأصلي،أما الاختيار الزواجي هاهنا

[1] الشرف يعني بشكل أساسي حماية جسد المرأة، وعلى وجه الدقة حماية جهازها التناسلي (الإنجابي) بحيث لا يسمح بالاتصال الجنسي إلا في إطار الزواج يضمن نقاء السلالة ووضوح الحدود بين العائلات المنتمية أبويا، ومن هنا تأتي أهمية "غشاء البكارة" كتعبير عن شرف المرأة الذي هو شرف العائلة، وأهمية تحريم وتجريم الزنا. (التركي وزريق ، 1995: 28).

فهو حر مرتب أي خاضع لموافقة الوالدين[1]، وتتعرض نية الابن المتزوج حديثا في انفصاله عن سكن والديه لمجموعة من العوائق كعدم توفر السكن، والقصور المادي كما تنجم عن الإقامة في منزل الأهل مشكلات أساسها الصراع بين الأم وزوجة الابن، أما نمط الخصوبة فيتجه نحو تحديد المواليد، ولكن دون نجاح أحيانا.

النمط الزواجي (le model conjugal): ينتشر هذا النمط بين الفئة المثقفة المتشبعة بالثقافة الفرنسية ويتجلى في الاختيار الزواجي الحر، والعلاقات العاطفية وأحيانا الجنسية قبل الزواج، وهذا ما يعتبر تمردا على قيم الأسرة الجزائرية.

إن نية الاستقلال عن الأهل لدى العروسين تظهر في التكفل بجميع تكاليف الزواج، كما تظهر في رفض الإقامة معهم، أما رعاية الوالدين فلا يأتي من باب الواجب بل من باب الإحسان، ويتميز نمط الخصوبة هنا بترشيد الإنجاب، أي تحديد المواليد وتباعد الولادات.

خلاصة:

وفي الختام، نقول إننا قد توصلنا إلى نتائج يمكن تلخيصها كالآتي:

تجتمع في الأسرة عناصر بيولوجية، وعناصر اجتماعية وثقافية، وهذه العناصر الأخيرة تعتبر موضوع تباين بين المجتمعات، ولهذا السبب تعذر على العلماء إيجاد تعريف دقيق وشامل لوصف الأسرة الإنسانية.

يصنف عادة العلماء الأسرة ثلاثة أصناف هي: الأسرة الممتدة التي تنتشر أكثر في المجتمعات التقليدية، والأسرة النووية التي يرتبط وجودها بالمجتمع الحديث، وأخيرا الأسرة الأحادية الوالد التي تعتبر شكلا خاصا من أشكال الأسرة النووية.

انقسم الباحثون في مجال الأسرة العربية إلى ثلاثة اتجاهات اتجاه يعتقد بسيادة النمط الممتد في المجتمع، واتجاه ثان يقر بغلبة النمط النووي، واتجاه ثالث يقف بين الاتجاهين الأولين ويعتقد بوجود نمط انتقالي متحول.

بعد معاينتنا لمختلف الأطروحات حول أنماط الأسرة الجزائرية تبين أن مصطفى بوتفنوشت، وعدي الهواري لا يؤيدان فكرة انتقال الأسرة الجزائرية نحو نمط الأسرة النووية، نظرا لطبيعة العلاقات التي تقيمها هذه الأخيرة بأسرتي التوجيه، وفي مقابل ذلك يدعم هذه

[1] أي أن يرتب الوالدان للزواج وفي نفس الوقت يعطيان ابنهما أو ابنتهما حق الاعتراض. كما أنه من الممكن أن يقوم الشاب أو الفتاة بالاختيار الحر ويمنحان والديهما حق الاعتراض كما أنه من الممكن أن يختار الشاب عروسه على أن يشترك والده في الرأي والاختيار.(الخولي، 1983: 147).

الفكـرة كـل مـن سـعاد خوجـة وفـوزي عـادل، ويقـولان بانتشـار الأسـرة النوويـة في المجتمـع الجزائري، وبتعدد الأنماط الأسرية فيه.

قائمة المراجع:

بالعربية

1- أحمد بيرى الوحيشي(1998)، الأسـرة والـزواج :مقدمـة في علم الاجتمـاع العـائلي، طـرابلس، الجامعة المفتوحة.

2- بودون ريمون وبوريكو فرونسوا(1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية .

3- بوطالب محمد نجيب (2002)، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، رقم 41، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية .

4- بونت بيارو إيزار ميتشال(2006)، معجم الاثنولوجيا والانثربولوجيا، ترجمة مصباح الصمد بيروت، مجد.

5- التركي، ثريا وزريق، هدى (1995)، تغير القيم في العائلة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، رقم 21، عمان، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.

6- حطب، زهير(1976)، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، بيروت، معهد الإنماء العربي.

7- خضر، محسن(2000)،" بيير بورديو فيلسوف العنف الرمزي "، في العربي، العدد 497.

8- خيري، مجد الدين عمر(1985)، العلاقات الاجتماعية في بعض الأسر النووية الأردنية، عمان، الجامعة الأردنية.

9- سناء، الخولي(1983)، الزواج والعلاقات الأسرية، بيروت، دار النهضة العربية.

10- السيد، عبد العاطي وآخرون(1999)، علم اجتماع الأسرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

11- عبد المعطي، عبد الباسط(2010) " مستقبل الأسرة العربية وتحديات العولمة "، في صحة الأسرة العربية والسكان، المجلد3، العدد 7.

12- عنصر، العياشي(2008) " الأسرة في الوطن العربي من الأبوية إلى الشراكة"، في عالم الفكر، العدد03، المجلد 36.

13- فرادجي، محمد أكلي(2004)، "الإشكالية المعرفية للسوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر دراسة عينة من الأبحاث الكولونيالية التي أنجزت حول منطقة القبائل"، في عبد القادرلقجع

(منسق ومقدم) أعمال الملتقى الوطني حول علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر أية علاقة ؟ وهران أيام 4-5-6 ماي 2002 الجزائر، دار القصبة.

14- لبيب، الطاهر (2004)، "الأسرة العربية، مقاربات نظرية "في المستقبل العربي، عدد 308.

15- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا(1992)،أثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الأسرة العربية، عمان، الأمم المتحدة.

16- محمدي، سيدي محمد(2006)، الديناميات الأسرية في الجزائر، رسالة ماجيستير في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران.

17- ميتشل، دينكن(1986)، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة ،إحسان محمد الحسن، ط2، بيروت، دارالطليعة.

18- نخبة من الأساتذة(د.ت)، المرجع في المصطلحات العلوم الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

19- نخبة من المؤلفين(د.ت)، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

20- وصفي، عاطف (1971)، الأنثربولوجيا الثقافية، بيروت، دار النهضة العربية.

بالفرنسية:

Addi, Lahouari(1999), les mutations de la société algérienne , famille et lien social dans l'Algérie contemporaine , Paris ,éd la DECOUVERTE .

Adel, Faouzi(1995), Formation du lien conjugal et nouveaux modèles familiaux en Algérie, Oran, CRASC , p20(colloque sur « Femmes et développement », Tanger, 10-13 octobre 1991.

Bourdieu, Pierre(1974), Sociologie de l'Algérie, Coll, Que sais je ? n°802, Paris, PUF.

Boutefnouchet, Mostefa (2006)« La famille algérienne : quel model ? » ln changements sociaux, changements familiaux, actes du 3 ème colloque national du département de sociologie, faculté des sciences humaines et sociales, Alger 2-3-4 décembre 2003, Alger, université d'Alger.

Descloitres, Robert et DEBZI, Laïd(1963) , Système de parenté et structure familiales en Algérie, in Annuaire de l'Afrique du nord, Paris, CNRS.

Khodja, Souad(2002) ,Nous les algériennes :la grande solitude, Alger, CASBAH.

Williams, Emilio (1970), Dictionnaire De Sociologie, Ed M. Rivière, Paris.